سميح شبيب

جريدة «الحياة» - القدس ١٩٣١
عمر قصير وتأثير كبير

في مطلع القرن العشرين، أخذت الافكار القومية العربية بالتبلور واتّخذت طابعا تنظيمياً برز بشكل رئيسي في تأسيس جمعيتي العربية الفتاة والعهد.

وقد أخذت الجمعية الاولى شكلاً، سياسياً وفكرياً، أكثر وضوحاً من نظائرها، إلاّ أنها تلاقت، جميعا، في البنية الاجتماعية والأهداف. فجمعية العربية الفتاة التي تأسست في باريس سنة ١٩١١، كانت شبه مقتصرة على الشبان العرب الذين كانوا يواصلون دراساتهم في أوروبا، ويمكن تلخيص مطالبها التي كانت تطرحها، آنذاك، بالنقاط التالية: تنشيط اللغة العربية، وحرية التعبير عن الرأي والمساواة بين العرب والترك، واعتبار التعصب الطائفي «وصمة عار» والدعوة إلى حلقة سياسية واسعة تضم النصارى إلى جانب المسلمين... لأن الوطنية فوق اختلاف الأديان، على حد تعبير الكواكبي[١].

وفي تلك الفترة، علّق القوميون العرب امالاً كبيرة على تركيا الفتاة: وذلك بعد أن أعيد العمل بالدستور، في تموز (يوليو) ١٩٠٨، وبعد أن صدرت بعض التشريعات التي تضمن الحريات العامة، وبعد أن تم الاعفاء عن المسجونين السياسيين[٢]. إلا أن هذا التفاؤل المرتكز على الأوهام سرعان ما تبدد، لدى رجال القومية العربية؛ وذلك عندما ظهرت شوفينية جمعية «تركيا الفتاة»، وعداؤها لغير التركية من القوميات.

وبزوال المحاولات الداعية إلى الاخاء بين القوميتين العربية والتركية، حل العداء القومي العربي للتسلّط الشوفيني التركي، وأصبح مطلب الاستقلال العربي عن الاستبداد التركي مطلبا وطنيا بارزا.

إلا أن الحركة القومية العربية الضعيفة، عدداً وعتاداً، لم تجد لها من حليف، آنذاك، غير بريطانيا وفرنسا، وقد وجدت الحركة العربية، في هذا الحليف «المستنير» امكانية المساعدة شريطة الحياد. وقد عبر نجيب عازوري عن هذه الفكرة بوضوح عندما